الدرس السادس

مملكة داود والعهد الداودي

2صموئيل 1: 1 – 7: 29

1. مقدمة

في سفر صموئيل الأول انتقل برنامج العهد مع إسرائيل من الثيوقراطية (الحكم الإلهي) إلى الحكم الملكي. سمح الله بأن يكون للشعب ملك. فكان ذلك ضمن إرادة الله المرسومية (قضاء الله– decretive will)، لكن إسرائيل اختارت الملك بدافع خاطئ (لا بدافع الإيمان). كانت الأمّة بذلك تحقق إرادة الله المرسومية لكنهم كانوا في نفس الوقت مسؤولين عن خيارهم الخاطئ. وقد أكّد الله أن قرارهم خاطئ برفضه حكم شاول. غير أن الله سيعمل منذ تلك اللحظة فصاعداً مع الأمّة من خلال وساطة ملك.

سيستمر برنامج العهد الذي بُدئ به مع إبراهيم مع إسرائيل، على الرغم من أنه سيطبَّق الآن من خلال ملك. إذ يقيم الله داود كرجل حسب قلبه، لكي يبيّن أن البرنامج الإلهي (الذي سيُنجز من خلال ملك) لن يتحقق إلاّ من خلال ملك يختاره الله نفسه. غير أن داود لن يكون ذلك الملك الذي سيُحْدِث التحقيق النهائي للبرنامج الإلهي (العهد الإبراهيمي). لكن سيأتي ملك يفعل ذلك، وسيكون هذا الملك من نسل داود. ونقطة التركيز الرئيسية في صموئيل الثاني هي العهد الذي يقطعه الله مع إبراهيم (2صموئيل 7)، ففي هذا العهد بالذات يتم كشف المزيد عن خطة الله الكلّية في جلب البركة: وسيتوَّج هذا البرنامج الهادف إلى جلب البركة بمملكة يحكمها ملك من نسل داود. ومن وجهة نظر مواتية لنا، فإن من الواضح أن هذا سيتحقق في يسوع المسيح.

يدور هذا السفر حول العهد الداودي في 2صموئيل 7. ويتناول الجزء الأول من السفر تعزيز المملكة تحت حكم داود. ومع إنجاز هذا الأمر، يقطع الله له وعداً بأن شخصاً ما من نسله سيحكم إسرائيل. وفي نفس الوقت سيجري التعامل مع الملوك بمبدأ التأديب. ويخضع داود نفسه لهذا المبدأ، لأن خطيته البشعة مع بثشبع تؤدي إلى خلق متاعب في بيته ومملكته. ولهذا يظل الملك مسؤولاً أمام يهوه.

2. بنية 2صموئيل

يقع هذا السفر في ثلاثة أجزاء (انظر الجدول):

1. الأصحاحات 1–10 – يثبّت الله داود ملكاً ويبارك مملكته
2. الأصحاحات 11–20 – خطية داود وتأثيرها على بيته ومملكته

3. الأصحاحات 21–24 – ملحق حول نهاية داود

في 1صموئيل 16–31، عاش داود طريداً هائماً على وجهه. غير أنه تعلّم أن يسلك بالإيمان. وتكشف 2صموئيل 1–10 ذروة حياة داود، أي وهو تحت بركة الله. وأخيراً فإن 2صموئيل 11– 1ملوك 2 تمثّل المرحلة الثالثة من حياة داود التي يختبر فيها تدهوراً يحصد فيه عواقب خطيته.

3. هدف صموئيل الثاني

إن الغرض من صموئيل الثاني هو كشف خطة الله لمملكة أبدية ستتحقق مع نسل داود وكشف عواقب الخطية بالنسبة لتحقيق بركة الملكوت.

4. تأثير الحكم الملكي في تاريخ إسرائيل

مع تأسيس الحكم الملكي، تحدث ثلاثة تغيُّرات هامّة تؤثّر في تاريخ إسرائيل:

1. السلالة المَلَكية المتعاقبة– من المؤكّد أنه سيكون هنالك خليفة للملك سيحكم إسرائيل. ففي زمن القضاة، اعتمدت الأمّة على إقامة الله لمحرر عند ظهور ضرورة لذلك. غير أن هنالك يقيناً تحت الحكم الملكي أنه سيوجد دائماً حاكم.
2. مركزية السلطة– يمكن تحت الحكم الملكي أن يفرض ملك إرادته على الشعب، ولديه قدرة متمثلة في جيشه تمكّنه من فعل ذلك. ففي زمن القضاة، لم يكن هنالك من يمارس سيطرة دائمة على الشعب ليجعلهم يفعلون الصواب، ومن جانب آخر فإن مركزية السلطة تحمل في طيّاتها إمكانية أعظم لإساءة استخدام السلطة.
3. طبقة ذات امتيازات خاصة ضمن المجتمع – تتضمّن المَلَكية وجود "عائلة ملكية" وأشخاص يمكن أن يغدقوا نِعَماً على الآخرين.

5. المقابلة بين شاول وداود

سبق أن قدّمتُ بعض الملاحظات حول هذا الأمر في 1صموئيل، لكن من الملائم إبداء ملاحظات أخرى. كان شاول رجلاً يفتقر بشكل كامل تقريباً إلى الإيمان. وقد استغلّ الحكم الملكي لمقاصده الأنانية، ولم يُبدِ اهتماماً كبيراً بتقدُّم ملكوت يهوه ومجده. ونجد أحد دلائل ذلك في موقفه من تابوت العهد. كان تابوت العهد عرش يهوه. . . ممثلاً لحكمه وحضوره بين الأمّة. غير أن شاول لم يُعِر تابوت العهد أي اهتمام أثناء حكمه، واكتفى بتركه في قرية يعاريم.

أمّا داود فيفعل نقيض ذلك تماماً؛ فهو مثقل بعمق بتابوت العهد. فحالما يستولي داود على أورشليم ويتغلب على هجوم الفلسطينيين، فإن أول ما يفعله هو جلب تابوت العهد من قرية يعاريم. ويبيّن هذا سمة داود بصفته رجلاً حسب قلب الله. إنه "حسب قلب الله" في أنه ميّال إلى كون الله هو مركز كل شيء. فطموحاته مرتبطة بملكوت الله وبالله، لا بنفسه. ليس داود رجلاً كاملاً (فهو يخطئ)، لكن يهوه هو ربه، وهو يتمتع بدافع قوي لتوسيع الملكوت (وفق وعود الأرض الإبراهيمية). وموقف داود من تابوت العهد مختلف إلى حد بعيد عن موقف شاول. ويصف هذا الأمر بشكل رائع المزمور 132 حيث يقول داود ما معناه: "لم أستطع حتى أن أغمض عيني وتابوت العهد في قرية يعاريم." لم يتمتع داود بسلام إلى أن أُحضر تابوت العهد إلى أورشليم ووُضع في مركز المملكة، لكي يكون له كل الكرامة والمجد اللائقين بعرش الله.

"لا أدخل خيمة بيتي. لا أصعد على سرير فراشي
لا أعطي وسناً لعينيّ، ولا نوماً لأجفاني؛
أو (حتى) أجد مقاماً للرب، مسكناً لعزيز يعقوب" (مزمور 132: 3–5).

6. 2صموئيل 1–7

تتناول الأصحاحات السبعة الأولى من صموئيل الثاني تعزيز المملكة تحت حكم داود. اختُتم سفر صموئيل الأول بموت شاول، وصار الله الآن مستعداً لأن يعهد بالمملكة إلى داود.

غير أنه يوجد بعض الصراعات المعلَّقة التي ينبغي التعامل معها. كان لشاول ابن اسمه إشبوشت يدعمه أبنير، قائد جيوش شاول. ومن ناحية أخرى، نُصّب داود ملكاً على يهوذا (الجزء الجنوبي من المملكة) في حبرون. وهكذا تُقَسَّم المملكة بين إشبوشت وداود. وترينا هذه الأصحاحات كيف يعزّز الله المملكة تحت حكم داود ويثبّت عرشه إلى الأبد.

أ. انتصار داود على بيت شاول (2صموئيل 1: 1 – 12: 4)

توضح هذه الأصحاحات أن داود كان قائداً حكيماً وتقيّاً حقاً

1. داود يتفجَّع على شاول (الأصحاح الأول)

يعبّر تفجُّع داود على شاول ويوناثان عن احترامه لهذين الرجلين. فعلى الرغم من أن شاول اضطهده على مدى سنوات طويلة، إلاّ أن داود عرف أن الله هو الذي عيّنه ملكاً. ومن هنا أظهر احتراماً للرجل الذي يشغل ذلك المنصب وله سُلْطة عليه. كان داود يعرف أنه ليس مضطرّاً لأن يتولّى مسؤولية خلع شاول عن العرش.

2. التنافس على المملكة – داود وإيشبوشت (2: 1–11)

توّج داود ملكاً على يهوذا في حبرون، بينما تُوِّج إشبوشت ملكاً على إسرائيل في محنايم. وعلى الرغم من أن إشبوشت كان الوريث الشرعي لشاول، إلاّ أنه لم يكن ذاك الذي اختاره الله للعرش؛ فكان داود صاحب الحق في الملك. لم يعيّن الله إشبوشت ولم يعطه أية مواهب للحكم. بل إن أبنير كان يحاول أن يؤسس حكمه الخاص به. وكان على داود أن يكتفي بالحكم على يهوذا في الجنوب مدة سبع سنوات قبل أن يتمكن من امتلاك المملكة بشكل كامل. غير أن اعتلاءه للعرش كان من عمل خطة الله. وقد سبق أن أظهر الله منذ القديم (تكوين 49) قصده في أن يكون هنالك حاكم من يهوذا:

"لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا
ومشترع من بين رجليه" (تكوين 49: 10)

3. زوال بيت شاول (2: 12 – 4: 12)

أ. القتال بين يوآب وأبنير (2: 12–32)

إنه لأمر محزن أن تدور حرب أهلية في إسرائيل يقتل فيها الأخ أخاه. فقد قتل أبنير، وهو أحد قادة يهوذا العسكريين، عسائيل. فتبدأ بهذا دورة للثأر للدم حيث ينتقم يوآب وأبشاي (أخوا عسائيل) في نهاية الأمر من أبنير بقتله (3: 30)

ب. موت أبنير وتفجُّع داود (3: 1 – 39)

كانت قوّات إشبوشت تفوق قوّات داود عدداً، حيث إن معظم الأسباط تبعوا إشبوشت. غير أن داود لا يحاول ضمان العرش بانتصار عسكري، إذ يستخدم الله عدداً من الأحداث لتحقيق ذلك. أولاً، ينشأ صراع بين إشبوشت وأبنير بسبب الإساءة إلى سريّة أبنير. ومع تعرّض أبنير للإهانة، ينقلب ضد إشبوشت ويبدأ بعقد عهد مع داود لمساعدته في الحصول على المملكة. غير أنه لا يُكتب للخطة النجاح، لأن يوآب (قائد جيش داود) يقتل أبنير. وقد عمد يوآب إلى الخديعة في هذا الأمر، حتى إنه يوجد دليل على وجود علاقة غير صحية بين داود ويوآب. لنلاحظ كيف أنه يتكلم إلى داود كأنه تحت إمرة يوآب (3: 24 – 25). لم يأمر داود بقتل يوآب (كما فعل مع قتلة آخرين).

وسيرتد على داود عدم قدرته على السيطرة على يوآب، وسيعذّبه يوماً ما، لأن يوآب سيقوم بقتل ابن داود نفسه على الرغم من أوامره الصريحة بأن لا يُمَس بسوء (18: 9–18). غير أن موت أبنير يشكل نهايةً مؤكدة لمطالبة إشبوشت بالعرش.

جـ. اغتيال إشبوشت (4: 1–12).

أزعج موت أبنير إشبوشت وهزّ أتباعه. وفي فورة هذه الأحداث يقوم رجلان باغتيال إشبوشت (لكن دون موافقة داود). وبهذا زالت كل معارضة أمام صيرورة داود ملكاً.

ب. أساس مملكة داود في أورشليم (5: 1 – 7: 29)

1. تعيين داود ملكاً في أورشليم (5: 1–25)

كان كل الحدث في الأصحاحات الخمسة الأولى يتحرك في اتجاه تعيين داود ملكاً. وها هو يتحقق أخيراً مع اجتماع كل الأسباط لجعل داود ملكاً. وهم بعملهم هذا إنما يتصرفون في طاعة للرب، لا كمجرد ضرورة سياسية. لنلاحظ اعتراف القادة (5: 2):

"قد قال لك الرب: 'أنت ترعى شعبي إسرائيل، وأنت تكون رئيساً (حاكماً) على إسرائيل.'"

بقي داود في حبرون مدة سبع سنوات، منتظراً بهذا توقيت الرب.

إن أحد أول الأعمال التي قام بها داود كملك هو هجومه على أورشليم وغزو اليبوسيين الذين كانوا يسكنون هناك (5: 6). وعلى ما يبدو، فإن بني إسرائيل لم ينجحوا قط في طردهم منذ زمن الدخول بقيادة يشوع (لنتذكّر 15: 63). ويبدو أن صهيون كانت الحصن الذي يشكّل أحد أجزاء المدينة. ويقال إن داود سكن هنالك في الحصن (5: 9)، وقد صار هذا المكان يدعى باسم "مدينة داود." ولا شك أن أورشليم كانت تتمتع بميزات معيّنة كعاصمة، إذ كانت في الوسط أكثر من حبرون وشيلوه، وكانت تشكّل مكاناً أكثر ملاءمة لتابوت العهد (لكي تصبح العبادة مركزية في وفي مكان مركزي في المملكة). وإنه لأمر ممكن أن داود تلقّى إعلاناً إلهيّاً يفيد بأن صهيون ستكون موقع تابوت العهد (انظر مزمور 132: 13–14)

2. إصعاد تابوت العهد إلى أورشليم

يحمل إحضار تابوت العهد إلى أورشليم دلالة لاهوتية عظيمة: (1) يكشف هذا العمل تقدير داود لعبادة يهوه بصفتها أمراً مركزياً في حياة الأمّة؛ (2) بجلب تابوت العهد إلى العاصمة الجديدة، صارت الأسباط المختلفة أكثر ارتباطاً والحكم المركزي أكثر حصراً؛ (3) صار المسرح مهيّأ لرسالة من يهوه حول بيت داود الأبدي.

3. عهد الله الأبدي لمباركة بيت داود (1: 7–29)

أ. مقدّمة

إن ذروة تركيز صموئيل الثاني هي العهد الذي يقطعه الله مع داود. وغالباً ما يشار إلى هذا بصفته "العهد الداودي." ويوجد أصحاحان رئيسيان آخران يتناولان أيضاً هذا العهد، وهما المزمور 89 و 1أخبار 17.

إن السياق مألوف جداً. فداود يريد أن يبني لله بيتاً، أي بناية دائمة يسكن فيها تابوت العهد (بناية مناسبة لمجد الله). وعلى الرغم من نوايا داود الطيّبة، إلاّ أنّ الله لا يسمح له بذلك، لأنه كان رجل حرب، رجل دم (1أخبار22: 8؛28: 3) وقد أصرَّ الله على أن يقوم *رجل سلام* ببناء بيته.

وبدلاً من أن يقوم داود ببناء بيت لله، يقول الله إنه هو الذي سيبني لداود بيتاً. وفي هذا تلاعب بالكلمات، لأن "البيت" الذي سيبنيه الله لداود ليس بيتاً حرفيّاً، بل سلالة ملكية، نسلاً من الحكام من صُلب داود. وبإعطائه هذا العهد، يقطع الله سبعة وعود لداود ونسله.

ب. بُنية العهد

ينقسم العهد إلى قسمين رئيسيين، وينعكس هذا في الفاصل المتعمّد الموجود في منتصف الآية 11. يتحدث الله في صيغة المتكلم المفرد في الآيات 8–11أ، وبعد الفاصل الذي يرد في وسط الآية 11، يستأنف الله حديثه في الآيات 12–16. ولهذا الفاصل أهميته:

القسم الأول (الآيات 8–11أ) – ثلاثة وعود ستتحقق في حياة داود!

1. وعد باسم عظيم (8: 13)، أي أنه سيصبح مشهوراً
2. وعد بمكان لإسرائيل في الأرض – أي أنه ما زال أمام إسرائيل مزيد من الأرض لاحتلالها (عندما قُطع العهد، لم تكن إسرائيل تسيطر إلاّ على أراضٍ إلى الغرب من نهر الأردن)، لكن الله يضمن ويحمي المملكة أثناء حياة داود.

3. وعد بالراحة من جميع أعدائه (1ملوك 5: 4)

القسم الثاني (الآيات 11ب –16) – أربعة وعود ستتحقق بعد موته!

1. نسل أبدي – وعد الله داود بأن نسله سيستمر ليكون السلالة الحاكمة (وهذا وعد مذهل لأية سلالة!). إذ سيشغل واحد من نسل داود دائماً عرش إسرائيل (على الرغم من أن هذا سيتم من خلال المملكة الجنوبية).
2. وعد بمملكة أبدية (الآيات 12– 13، 16)– يقطع الله وعداً لنسل داود أيضاً بمملكة. يمكن لمملكة، مثلها في ذلك مثل العرش، أن تُنزع، لكنها لا تُهمَل إلى الأبد.
3. وعد بعرش أبدي – يستخدم الله داود في ترسيخ عرش المملكة في أورشليم. ومن هنا، ستكون أورشليم عاصمة مملكة الله إلى الأبد. غير أن "العرش الأبدي" لا يعني أن العرش سيستمر دون انقطاع وقتي. إذ يمكن أن يكون هنالك انقطاع وقتي للعرش، لكن عندما يُستأنف العرش، سيتربع واحد من نسل داود عليه. وقد انقطع العرش مؤقتاً بسبب السبي البابلي، لكن بعد عودتهم، قام شخص يهودي (من النسل الداودي) اسمه زربّابل – بتولّي الحكم.

4. الله بصفته أباً للملك (الآيتان 14 – 15)

لن تتوسع المملكة دائماً، لأن الله وضع مبدأ يؤدّب الملك (والأمّة) بموجبه مستخدماً "عصا من البشر" (أي جيوشاً أجنبية ستقمع المملكة وتُخضعها). وعندما يقول الله: "وأكون له أباً وهو يكون لي ابناً،" فإنه لا يتحدث عن المسيح فحسب، بل إنه يتحدث عن كل الذين سيجلسون على العرش من نسل داود. وعندما كانوا يُتوَّجون ملوكاً، كانوا يدخلون في علاقة بنوة مع الله (مع ما يتضمنه ذلك من امتيازات ومسؤوليات). وإذا ارتكبوا إثماً، كان الله يؤدّبهم (وبطبيعة الحال، لن يكون هذا التأديب ضرورياً أبداً بالنسبة للرب يسوع المسيح الذي كان ابن الله بمعنى أعمق بكثير).

يوجد إذاً وعد بعرش أبدي وبمملكة أبدية، على الرغم من أن العرش نُزِع واختفت المملكة في مسار التاريخ (586 ق م). فهل فشل الوعد؟ لا! كانت المملكة لهم، لكنهم لم يستطيعوا التمتع بامتلاكها.

توجد تضمينات كثيرة في ما يتعلق بهذا العهد. تجب ملاحظة أن إسرائيل ستستمر في الوجود كشعب لله عبر برنامج الله الإلهي مع الإنسان (7: 24):

"ثَبَتَّ لنفسك شعبك إسرائيل، شعباً لنفسك إلى الأبد، وأنت يا ربّ صرت لهم إلهاً."

لا يوجد أساس للقول إن "الكنيسة" اليوم حلّت نهائياً محل قصد الله المتميز لإسرائيل. وعلى الرغم من أنه يمكن القول إن الكنيسة تنفّذ في الوقت الحالي كثيراً من الدور الذي سبق أن عُهِد به أصلاً إلى إسرائيل، إلاّ أن هذا لا يعني أنه لا يوجد مستقبل لإسرائيل كأمّة.

سيحد القسم الثاني من الوعود تحقيقه الأسمى في شخص يسوع المسيح. وتثبت هذا ملاحظتان على الأقل:

1. تطبّق عبرانيين 1: 5 2صموئيل 7: 14 على يسوع

ليست هذه الآية مقصورة في تطبيقها على يسوع، لكنها ستجد تحقيقها النهائي فيه. وممّا يبيّن أن 7: 14 تشمل ملوكاً آخرين بين داود ويسوع أن النصف الثاني من الآية يتحدث عن التأديب في حالة اقتراف الملك للإثم.

2. يحدّد لوقا 1: 32–33 أن يسوع سيجلس على عرش داود انسجاماً مع العهد الداودي، وأن وعد الملكوت سيتحقق فيه.

". . . ويعطيه الرب الإله كرسي (عرش) داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه نهاية."

وهكذا يقدّم العهد الداودي مبدأ للتعامل مع الملوك الذين سيخلفون داود، ويقرر حقيقة أن العهد سيسفر في نهاية الأمر عن مملكة تحت حكم يسوع المسيح. وسيكون تأسيس هذه المملكة أساس تحقيق الوعد الإبراهيمي. وسيجلب الله البركة لجميع قبائل الأرض، وسيبلغ هذا ذروته في المملكة التي سيحكم فيها يسوع على العالم البشري. ولدى متابعتنا القراءة عبر بقية الكتاب المقدس، سنجد

إعلانات أخرى أوضح فأوضح عن هذه المملكة التي ستشكّل ذروة العهد الداودي، خاصة في سفر دانيال (لنلاحظ على وجه الخصوص دانيال 7: 13 –14).

يصرّ معتنقوا ما قبل الألفية على أنه ستكون للمملكة التي سيحكمها المسيح مرحلة أرضية، أي أن يسوع سيؤسس مملكة فعلية حرفية على الأرض مدَتها ألف سنة بعد مجيئه الثاني، (وستتبع ذلك المرحلة الأبدية من المملكة). وهذا هو تعليم العهد القديم (مثلاً إشعياء 2: 1–4) ويؤكده العهد الجديد (مثلاً، رؤيا 20: 1–6). ويرى بعض دعاة فكر ما قبل الألفية أن تحقيق الوعد باعتلاء نسل داود عرشه لن يتحقق حتى الملكوت الألفي في المجيء الثاني. غير أني أرى أن الإعلان التدرُّجي في كلمة الله يبيّن أنّ وعد العهد الداودي بأن يتربع نسل داود على عرش داود سيتحقق بشكل جزئي مع قيامة يسوع وصعوده وتمجُّده عن يمين الآب (أعمال 13: 32 – 33)، على الرغم من أن التحقيق الكامل لن يتم إلاّ مع المملكة الألفية. وسنتحدث عن هذا بشكل أكثر تفصيلاً في الدروس التي تحمل عنوان "نظرة تدّرجية دهرية لتحقيق الوعود والعهود المقطوعة لإسرائيل في العهد القديم."